مجلة الرائد

العدد : ٢٣٨ الموافق في شعبان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٠ ميلادي

عنوان المقال : ترجمة معاني القرآن والتحديات المعاصرة * ٣*	الكاتب : د. نديم عطا إلياس

شبهات قديمة وتحديات متجددة

من خلال الأمثلة السابقة - المذكورة في العدد ٢٣٧ - يتضح لنا إمكان استغلال ترجمة معاني القرآن الكريم سلاحاً في يد المغرضين المتأولين . وقد أدت هذه الأساليب المعمول بها منذ عشرات السنين - بل منذ مئات السنين - إلى ترسيخ أحكام سابقة لدى كثير من أبناء الغرب ، يصعب انتزاعها ويطول تصحيحها . وكثير منها كامن في النفوس لا يفصح عنه ، وإن وَجَّه السلوك والمعاملات والتصرفات . ويظهر هذا المزيج من الجهل والتجاهل والتحامل والعداء التاريخي في وقت الأزمات السياسية والاضطرابات النفسية على السطح ، إذ يصعب على النفوس أثناء تهيجها أن تخفي كوامنها . ولقد رأينا وسمعنا من ذلك الكثير أثناء أزمة الحادي عشر من سبتمبر على لسان عدد من المفكرين والسياسيين . من ذلك التلويح بحر صليبية جديدة ، وتقسيم العالم إلى عالم متحضر متمدن وآخر متخلف غوغائي ، ودعوة العصبية الفكرية القائلة : « من لم يكن معنا فهو عدونا » ، واتهام شعوب ودول تنفق في سبيل اللّه وفي دعم العاملين في سبيله ، واتهام القائمين على الدعوة إلى اللّه عزَّ وجلَّ دعم الإرهاب والتخريب .

ومن الحوادث الغريبة التي واكبت تلك الأزمة بيان أصدره النائب مارتن هومان ، نائب الحزب المسيحي الديمقراطي في البرلمان الاتحادي " بندستاج " بعنوان : " اللّه ليس هو الرب " يحذر من الخلط بين إله المسلمين وإله النصارى ، ويلفت النظر إلى أن " اللّه " إله المسلمين إنما هو إله واحد من آلهة عديدة عرفها العرب ، وكان هو كبير الآلهة لذا اختاره محمد إلهاً لدينه [١] .

ومثال ذلك تحذير الأمين العام للحزب المسيحي الاشتراكي توماس جوبل الذي طالب بتحديد هجرة الأجانب إلى ألمانيا ، لافتاً النظر إلى أن التوقعات تدل على أن " المسلمانيين " سيشكلون في هولندا عام ٢٠٢٠م أغلبية السكان . واستخدم جوبل تعبير " المسلمانيون Muselmanen " الذي كان يستخدم في العصور الوسطى للسخرية من المسلمين والاستهزاء بهم [٢] .

---

(١) بيان صحفي رسمي أصدره النائب Martin Hohmann في ٢٠٠١/١٠/١٢م ، وهو نائب من حزب " CDU " .
(٢) في تصريح لـ Thomas Goeppel في ٢٠٠١/١٠/١٨م ، وهو الأمين العام لحزب " CSU " .

وأشارت صحيفة ألمانية مستندة - كما تدعي - إلى ترجمة معاني القرآن إلى أن اللّه عزَّ وجلَّ هو الصنم الأكبر في الكعبة ، وكان له ثلاث بنات هن اللات والعزى ومناة [٣] . { **تعالى اللّه عما يقولون علواً كبيراً** } .

ولقد تجددت قائمة الشبهات التي كانت توجه دوماً ضد الإسلام ومنها :

- الإسلام دين وحشية وعنف وإرهاب .
- الإسلام دين القسوة ، والنصرانية دين الرحمة .
- الإسلام دين لا يعرف التسامح .
- الإسلام يفرض الحرب المقدسة .
- الإسلام عدو لحقوق الإنسان .
- الإسلام عدو للمرأة .
- الإسلام عدو للعلم والتقدم .
- الإسلام دين التخلف والجهل .
- الإسلام عدو للبيئة وللحيوان .
- لا عدالة ولا حرية في الإسلام .

وتحولت هذه المقولات من مجرد اتهامات كلامية إلى تحديات فكرية ، ثم إذا بها تكاد تصبح برنامجاً سياسياً يحكم تصرفات المسؤولين في بعض دول الغرب ويحدد تعاملهم مع المواطنين المسلمين ، كما يحدد سياسات دولهم تجاه دول العالم الإسلامي وشعوبه . وهذا يفرض علينا معالجة بعض المحاور الرئيسة للتحديات المذكورة وتفنيد ادعاءاتها ، معتمدين على ما يمكن إطلاعهم عليه من مراجعنا الأصلية ، وأهمها ترجمات معاني القرآن الكريم .

(٣) صحيفة حزب الوسط النصراني " Der Kurier " .

مجلة الهدى

العدد : ٢٣٨ الموافق في شعبان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٠ ميلادي

عنوان المقال : ترجمة معاني القرآن والتحديات المعاصرة * ٣*	الكاتب : د. نديم عطا إلياس

لا وحشية وعنف بل رحمة مهداة

يدّعون أن إله المسلمين هو إله العقاب والعذاب وأن إله النصارى هو إله الرحمة والمغفرة . ونقول : { ... **وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** } [العنكبوت : ٤٦] .

لقد بعث اللّه نبيه رحمة من عنده للعباد : { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** } [الأنبياء : ١٠٧] ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وميزه بأكرم الأخلاق : { **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } [القلم : ٤] . وكان من أكرم أخلاقه ﷺ الرحمة والرأفة : { **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ... } [آل عمران : ١٥٩] ، فكان سلوكه رحمة ، وسنته رحمة ، وتشريعه رحمة : { **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** } [التوبة : ١٢٨] .

ويكفي أن ينظر أحد المكابرين في ترجمة معاني القرآن الكريم ليجد كل سورة افتتحت - ما عدا براءة - بـ { **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** } ، وأي افتتاح وتصدير أكثر دلالة على محتوى القرآن الكريم من استهلاله بالرحمة المطلقة من رب العالمين ؟ وإضافة إلى ذلك سيجدون { **الرَّحْمَنِ** } اسماً لله عزَّ وجلَّ وصفة له سبحانه وتعالى متكررة (٥٧) مرة فيما بين أيديهم من ترجمات ، وكذلك { **الرَّحِيمِ** } اسماً له وصفة في (١١٤) موضع . ولينظروا إلى { **الرَءُوف** } و { **الْوَدُودُ** } و { **اللَّطِيفُ** } و { **الْبَرُّ** } و { **الْعَفُو** } و { **الْغَفُورُ** } و { **الرَّزَّاقُ** } و { **الحَفِيظ** } ، بل فلينظروا إلى كل اسم من أسمائه الحسنى وكل صفة من صفاته العليا فسيجدون فيها رحمة من اللّه عزَّ وجلَّ. يؤمن بأسمائه المؤمنون ، ويدعونه بها تضرعاً وخيفة ، ويسعون للتخلق بهدي صفاته والاتسام بها . { **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ... } [الإسراء : ١١٠] . وما جعل اللّه من رحمة يتراحم بها الخلائق إنما هي جزء من رحمته التي وسعت كل شيء . يصف ذلك رسول اللّه ﷺ : « **جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا . فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ** » متفق عليه .

فرب المسلمين هو رب الرحمة والعفو والمغفرة ، الذي يدعوه عباده الصالحون: { ... **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** } [غافر : ٧] . وهم يوقنون أن رحمته بهم أعظم من رحمتهم بأنفسهم : « **عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** ﷺ **قَالَ : قُدِمَ عَلَى**

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا : لا وَاللَّهِ . فَقَالَ : لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا » متفق عليه .

وكذلك كان شرع اللَّه عزَّ وجلَّ ، يسر وسهولة ، ينطلق من بشرية ابن آدم وضعفه وعجزه ، ولا ينطلق من مثالية لا يمكن تطبيقها بين الناس . وليقرأ المكابرون قول اللَّه عزَّ وجلَّ : { ... **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ... } [البقرة : ١٨٥] ، وقوله : { ... **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } [المائدة : ٦] ، وقوله : { ... **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ... } [الحج : ٧٨] . فمن مميزات الشريعة أخذها بمبدأ : " الضرورات تبيح المحظورات " . وعدم تكليف النفس فوق وسعها . ولا يخلو تشريع في الإسلام من رحمة من اللَّه بعباده : فالمباح أبيح رحمة بالعباد وتوسيعاً عليهم ، والمحظور حرم رحمة بهم وحرصاً عليهم ، والحدود أقيمت درءاً للفساد ورحمة بالعباد . والناظر في آيات الحدود يجدها محفوفة بالدعوة إلى التوبة والإصلاح ، وبالتذكير بالمغفرة والرحمة ، وبالحث على العفو والصفح .

والإسلام الذي ينسب إليه العنف والإرهاب والوحشية هو الذي أرسى قواعد الأمن والسلم وحارب الفساد في الأرض بكل صوره . وليقرأ أولئك وَصْفَ اللَّه عزَّ وجلَّ نفسه في القرآن الكريم : { **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** } [الحشر : ٢٣] . فالسلام اسم من أسماء اللَّه الحسنى يدعوه به المسلمون اقتداء بنبيهم ﷺ : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا اللهم بالسلام » . والسلام تحية المسلمين في الدنيا : { ... **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ... } [النور : ٦١] ، وهو تحية المؤمنين في الجنة : { **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا** } [الأحزاب : ٤٤] .

وجعل اللَّه السلام من صفات عباده المؤمنين : { **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** } [الفرقان : ٦٣] .

وقد حرم الإسلام في آيات بينات لا تخفى ترجمات معانيها على أولئك المتجنين .. حرم الظلم والبغي والقتل والسرقة ، بل وسوء الظن والتجسس والاستهزاء ، وكل صور الاعتداء والبغي .. فما

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٨ الموافق في شعبان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٠ ميلادي

عنوان المقال : ترجمة معاني القرآن والتحديات المعاصرة * ٣*	الكاتب : د. نديم عطا إلياس

أغرب إلصاق تهمة العنف والإرهاب بالإسلام العظيم ؟ ألا يقرؤون في كتاب اللّه : { **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** } [الفرقان : ٦٨-٦٩] ، وقوله : { **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** } [الأعراف : ٣٣] ، وقوله عزَّ وجلَّ : { **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ...** } [المائدة : ٤٥] ، وقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** } [الحجرات : ١١-١٢] .

حدَّ اللّه حدوداً وعقوبات للجرائم والجنايات المذكورة ، وأباح التعزير للمخالفات والتجاوزات ، وحد بشكل خاص حد الحرابة للمفسدين في الأرض الذين يروعون أمن العباد والبلاد ، الذي يسمى في يومنا هذا الإرهاب : { **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** } [المائدة : ٣٣] .

ولقد أباح الإسلام القتال رداً على العدوان ودرءاً للظلم وانتصاراً للمستضعفين وحماية لبيوت اللّه . والآيات المتعلقة بذلك هي من أكثر الآيات التي يسرد معناها في كتابات الغربيين ، وذلك بشكل مقتطع ليستدلوا بها على ما سموه " الحرب المقدسة " التي يدعى أن الإسلام أباحها ، دون ذكر الأهداف السامية المذكورة في طيات آياتها : { **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۞ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي**

الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ } [الحج : ٣٨-٤١] ، وقول اللّه تعالى : { **وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا** } [النساء : ٧٥] .

فالقتال في الإسلام ليس لاستعباد الناس وإنما لتحريرهم . وإن كان من أجل كسب الأرض والمغانم فهو ليس في سبيل اللّه . وهو لم يشرع لقهر الناس على دين اللّه . وكان رسول اللّه ﷺ إذا بعث سرية قال : « بسم اللّه وباللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملة رسول اللّه . لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً » رواه أبو داود والطبراني . وأوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة قبل مسيره إلى الشام قائلاً : « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة . وسوف تمرون بأقوام قد حبسوا أنفسهم في الصوامع للعبادة ، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له » [٤] فأين هذا مما يصنع من يتهم الإسلام بالعنف والهمجية والوحشية والعداء للبيئة ؟

تسامح وحرية وعدل

يَدَّعون أن الإسلام دين إقصائي لا يقبل تسامحاً ولا حسن معاشرة مع غيره من الأمم والأقوام . ويستدلون بترجمة معاني الولاء والمودة الواردة في القرآن الكريم ، وبشكل خاص في قوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } [المائدة : ٥١] . ويترجم كل من بارت وهننغ والخوري كلمة " أولياء " هنا بما معناه : " أصدقاء " ، ويضيف بارت إلى ذلك : « ومن يتخذهم منكم أصدقاء فإنه منهم وقد خرج عن جماعة المسلمين » .

ترجمة كهذه يمكن استغلالها وإساءة فهم الآية من خلالها . وقد استخدم أحمد فون دنفر في ترجمة

(٤) الكامل لابن الأثير : (٣٣٥/٢) .

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٨ الموافق في شعبان ١٤٢٣ هجري ٢٠٠٢/١٠ ميلادي

عنوان المقال : ترجمة معاني القرآن والتحديات المعاصرة * ٣*	الكاتب : د. نديم عطا إلياس

المعاني كلمة قريبة من معنى " حلفاء " وذكر مراد هوفمان هذا التعبير في الحاشية . والآية لا تعالج موضوع الصداقة وحسن المعاشرة بل تعالج موالاة المناهضين المحاربين منهم ، ومحالفتهم ضد المسلمين ، وكشف عورات المسلمين لديهم. ويبدو هذا من سبب نزول الآية كما قال عكرمة : « نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول اللّه ﷺ إلى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا ؟ فأشار بيده إلى حلقه ، أي إنه الذبح » (٥) .

أما أصل معاملة النصارى واليهود وسواهم من الأقوام والأمم فقد وضع الإسلام أسساً وقواعد لها ، تم ذكر بعضها . ومن أهمها قول اللّه تعالى : { **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ... } [البقرة : ٢٥٦] ، وخطابه لنبيه ﷺ : { **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** } [يونس : ٩٩] . وسنة اللّه عزَّ وجلَّ قد خلت في الأمم : { **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** } [يوسف : ١٠٣] .

والإسلام القائم على أركان الإيمان باللّه رب العالمين ، والإيمان برسل اللّه والنبيين ، ووحيه الذي أنزله إليهم أجمعين ، حدد من علاقات التسامح البشري فوق ذلك ما لم تصل إليه البشرية " المتحضرة " إلى يومنا هذا . فهو لا يقرر العدل في معاملتهم فحسب ، بل يقرر البر والإحسان إليهم : { **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** } [الممتحنة : ٨-٩] .

وقد ضمن الإسلام للإنسان - كل إنسان - حقوقاً راسخة في أصل مصدره التشريعي والعقدي والتربوي .. في القرآن الكريم ، فضمن كرامة الإنسان : { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** } [الإسراء : ٧٠] .

وقرر أصلهم البشري الواحد : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً** } [النساء : ١] .

وقرر التفاضل بينهم بالتقوى لا بالأنساب : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ**

(٥) رواه ابن جرير . وقيل نزلت في عبد اللّه بن أبي سلول لموالاته اليهود دون المسلمين .

عنوان المقال : ترجمة معاني القرآن والتحديات المعاصرة * ٣*	الكاتب : د. نديم عطا إلياس

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... } [الحجرات : ١٣] .

وفرض العدل على عباده المؤمنين مع غيرهم ولو كانوا كفاراً ، وحرم الظلم عليهم كما حرمه على نفسه : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** } [المائدة : ٨] .

ولم يجعل من المسلمين " شعباً مختاراً " بل ربط خيرية هذه الأمة بإقامتها لحدود اللّه وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر : { **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...** } [آل عمران : ١١٠] .

فأي قاعدة أرسخ من هذه القاعدة للتعامل بين البشر وأي تسامح أعظم من ذلك ، وأي حوار أكثر انفتاحاً من هذا ؟

وبالرغم من وضوح هذه الآيات البينات في ترجمة معانيها التي اطلع عليها بلا شك كاردينال مدينة " كولون " ، إلا أنه يتجنى على الإسلام في مقابلة له مع صحيفة ألمانية في نهاية العام الميلادي المنصرم قائلاً : « يُدَّعى أن الإسلام متسامح وأنا لا أعرف أي بلد إسلامي متسامح . إن الإسلام ينادي بالتسامح دوماً حيث يكون أقلية . ودستورنا يطالب باحترام كرامة الإنسان وبالتسامح وبالحرية . فهل يتوفر كل ذلك فيمن هم بيننا من أبناء الإسلام » [٦] .

ويبدو أن الكاردينال قد نسي معاهدة المدينة ومعاهدة نصارى نجران والبحرين مع النبي ﷺ ، ونسي العهدة العمرية لنصارى القدس ، ومعاهدة خالد بن الوليد مع نصارى حمص ، ونسي مئات السنين من الحكم الإسلامي الذي كفل حقوق النصارى واليهود . ولا تزال كنائسهم ومعابدهم شاهدة في أنحاء العالم الإسلامي على تسامح الإسلام .

لكن ماذا صنعت النصرانية في حروبها الصليبية ؟

يصف المؤرخ النصراني ريموند فون اكفيلرس المذبحة التي قامت بها جحافل الدوق ريموند في القدس قائلاً : « دخلنا معبد سليمان حيث كان أولئك يؤدون صلاتهم . وما حدث هناك لا يمكن أن يصدق! ويكفي أن أقول إن خيولنا كانت تغوص في المسجد وفي فنائه إلى الركب في الدماء . لقد كان

(٦) مقابلة مع كاردينال Meisner في مجلة Bunte عدد ٢٠٠١/٤٧ .

من العدل الإلهي أن تسقى الأرض المقدسة بدم أولئك الذين طالما دنسوها » [٧] . ولنقارن ذلك بتسامح صلاح الدين الأيوبي وعدله وكرمه عندما دخل القدس محرراً منتصراً .

يعترف غوستاف لوبون بذلك قائلاً : « كان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم ، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة ، وأن يسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم .. ولكن العرب اجتنبوا ذلك . فقد أدرك الخلفاء السابقون - الذين كان لديهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الأخرى - أن النظم والديانات لا تفرض قسراً » [٨] .

لقد حدد الإسلام مفهوماً حضارياً للتسامح وربى عليه أبناءه وشهد بذلك تاريخ حضارته .. وهذا المفهوم أكثر مدنية وتقدماً من تعريف وزير الداخلية الاتحادي في ألمانيا للتسامح : « التسامح هو الاستعداد النفسي لعدم قهر دين أو معتقد بالعنف . ويجب أن يكون لدى المسلمين الاستعداد لتقبل من يقول لهم : إن العقيدة الإسلامية هي ضلال ، وأن يتقبلوا ذلك دون ردة فعل عنيفة من جانبهم » [٩] .

ما أفقر حضارة اليوم التي لم تصل بعد مرور هذه القرون الطويلة إلا إلى هذا المستوى من التسامح ، بل ما أحوج الحضارة البشرية اليوم إلى التبادل الفكري والتواصل الإنساني لتصل إلى أفضل من ذلك!! .

إن هذا التبادل الحضاري ليفرض بشكل خاص على أبناء الإسلام أن يقوموا بواجب البيان ، الذي يشمل توضيح موقفهم من المجتمع الغربي الذي يعيشون فيه ، توضيحاً يشمل منطلقاتهم العقدية وموقفهم السياسي والاجتماعي من مواطن اغترابهم ، ويعبر عن استعدادهم لنقل الخير والصلاح لمن معهم . ولقد قام المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بذلك ضمن " الميثاق الإسلامي " الذي أعلنه المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا في مقر المؤتمرات الصحفية للحكومة الاتحادية في برلين بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٠٢م الموافق لـ ٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ .

ولقد وصل المجلس الأعلى من خلال لقاءاته بكبار مسؤولي الدولة وعلى رأسهم رئيس الجمهورية والمستشار الألماني ورئيس البرلمان ووزير الداخلية الاتحادي وعدد من رؤساء الأحزاب وممثلي النقابات

---

(٧) من كتاب الحروب الصليبية لـ : بيتر ملجر ، ص ١١٦ Peter Milger, Die Kreuzzuege.

(٨) " حضارة العرب " G. Le Bon .

(٩) تصريح لوزير الداخلية الاتحادي Otto Schily في مؤتمر للحزب الاشتراكي SPD في مدينة دساو في ٢٠٠٢/٢/٢٣م .

ورجال الكنائس .. وصل المجلس من خلال هذه اللقاءات وما دار أثناءها من حوار إلى الاقتناع بضرورة إصدار موقف واضح وشامل وملزم تجاه علاقة المسلمين في ألمانيا - والمجلس الأعلى وأعضائه بشكل خاص - بالدولة الألمانية ونظامها وأسسها وأجهزتها . وذلك درءاً للبس وسوء الفهم ومنعاً من استغلال أي جهة إعلامية أو سواها للظروف المحيطة واتهام المسلمين بأي موقف مخالف لدستور هذه البلاد .

وقد انطلقنا في موقفنا هذا من أصول ديننا الحنيف ، واعتمدنا على فتاوى المجامع الفقهية في مكة المكرمة وجدة ، وقرارات المجمع الفقهي الأوروبي المتعلقة بعلاقة الأقليات المسلمة بالمجتمعات المحيطة بها .

كما حددنا دور المجلس الأعلى في نطاق هذا المجتمع واستعداده للعمل لمكافحة الإرهاب ودرء السوء والرذيلة والجريمة والإدمان . كما قمنا بسرد جوانب النقص التي يعاني المسلمون في هذا البلد ، مطالبين الأجهزة بالعمل على تداركها وإعطاء حقوق المسلمين المتعلقة ببناء المساجد وتربية النشء واحترام اللباس والطعام والأعياد وسوى ذلك .

وقد تلقت أجهزة الدولة الميثاق الإسلامي بكثير من القبول والتقدير ، وأصدرت الأحزاب المختلفة بيانات رسمية ترحب فيها بموقف المجلس الأعلى وتصف الوثيقة أنها " خطوة تاريخية طال انتظارها " وأن « المسلمين قد قاموا بما كان ينتظر منهم ، وينبغي أن تقوم الدولة الآن بواجبها تجاه المواطنين المسلمين المقيمين بها » .

ولم تخل صحيفة من الإشارة إلى الميثاق والتعليق عليه وقامت بعض الصحف بنشر نصه كاملاً وبأخذ آراء السياسيين والمفكرين والكنائس حوله .

ونتوقع أن تبدأ موجة واسعة من الندوات واللقاءات والجلسات المفتوحة والمغلقة للنقاش مع المجلس الأعلى حول محتوى الميثاق . كما نتوقع كذلك أن يؤدي إعلان الميثاق إلى حوار داخلي ضمن المساجد والجمعيات والمؤسسات الإسلامية ، وذلك ضمن الإطار الموضوعي العلمي الهادئ الإيجابي الذي قام الميثاق بتأصيله وتحديده .

خاتمة

ما أحوج الإنسان اليوم إلى التعرف على النور الرباني والهدي الإلهي والسماحة والعدل والأمن الذي جاء به الإسلام ، إن جوانب النقص التي نراها في المجتمعات البشرية اليوم ، وترديها في الغي والضلال والرذيلة والفساد ، وتخبطها في معمات الأهواء والشهوات ، وإنكارها لإنسانيتها وتنكبها عن هدي خالقها ، لدليلٌ على تقصير أبناء الإسلام في جانب اللّه عزَّ وجلَّ وتقصيرهم في واجب الدعوة والتبليغ وواجب الشهادة على الناس . وكتاب اللّه عزَّ وجلَّ الذي بين أيدينا هو سبيل النجاة ، وهدي رسوله ﷺ هو طريق الفلاح . ولا منجاة لنا في الدنيا والآخرة إلا بالتمسك بحبل اللّه عزَّ وجلَّ والقيام بواجبنا أمام هذه التحديات المعاصرة والفتن الداهمة ، وعلينا القيام بنقل معاني كلام اللّه عزَّ وجلَّ إلى عباده ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة : { **إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا** } [المزمل : ١٩] .

والحمد لله رب العالمين .